«شتات» اليهود في العالم وجلبهم إلى فلسطين وجوارها، يعتمد على مبدأ نفي القائم، أي على تشتيت الشعب الذي يسكن فلسطين وجوارها. ومن هنا، كان التنكر الصهيوني التام لوجود شعب فلسطين ولا يزال. وقد تم، حتى الآن، تحقيق جزء من هذا الهدف: فبالنسبة لنفي ما يسمى بـ «منفى» اليهود، تم استقطاب قرابة عشرين بالمئة من مجموع يهود العالم، مقابل نفي أكثر من نصف القائم، أي تشريد أكثر من نصف الشعب الفلسطيني. وهذا يعني أن الصهيونية لم تنجح، حتى الآن، في استكمال مشروعها، وانها تواجه أزمة في مسار تحقيقه. بيد أن ذلك لا يعني مطلقاً أن المشروع قد فشل. ذلك أن اسرائيل، كتجسيد للمشروع الصهيوني، تعتبر اقوى دولة في المنطقة، مهمتها الأساسية حماية عملية نفي «المنفى» ونفي القائم، وليست مجرد قاعدة عدوان للامبريالية – وهي بالفعل كذلك – للانقضاض على الشعوب العربية بهدف القضاء على تطلعاتها للتخلص من النفوذ الاستعماري الغربي، خدمة للامبريالية ولها. انها، بالأساس، قاعدة انطلاق للصهيونية تلتقي بالضرورة، وبشكل حاد، مع الأطماع الاستعمارية في المنطقة، وتشكل الركيزة الأكثر ضماناً لتلك الأطماع؛ وذلك بحكم التناقض الحاد القائم بين الوجود الصهيوني وتطلعاته، والوجود العربي وتطلعاته. ولا يحتاج المرء لبذل كبير جهد لشرح أيهما أخطر: الاستعمار الاجلائي او الاستعمار التقليدي، من وجهة نظر المبتلين بهما، وايهما أكثر قابلية للبقاء أو الزوال.

اذن، تُعدّ اسرائيل، في حقيقتها وبحكم ايديولوجيتها ووفق الهدف الاول للصهيونية، قاعدة صهيونية بالأساس. كما أنها، وبحكم تماثل المصالح بينها وبين الدول الامبريالية تعد قاعدة امبريالية. ولا شك بأن امكانية ازالة، أو زوال، أية «قاعدة امبريالية» في الوقت الحاضر المتسلم بأفول نجم الاستعمار وعلو شأن الشعوب في تقرير مصيرها، تبدو سهلة التحقيق، أكثر بكثير من امكانية ازالة أو زوال قاعدة استيطانية قامت على اساس نفي وجود اصحاب البلاد الشرعيين. وعلى سبيل المثال، نذكر أن نضال تونس او مراكش لانتزاع استقلالهما، كان ايسر بكثير من نضال الشعب الجزائري لانتزاع استقلاله، وقد كان ذلك بسبب وجود تجمع بسيط من المستوطنين إلى جانب الاطماع الاستعمارية في الجزائر. وفي روديسيا أيضاً، كان نضال سكان البلاد الاصليين اصعب واشقّ من نضالات شعوب افريقية اخرى، وذلك بسبب التواجد الاستيطاني الاوروبي فيها، ولا يزال نضال شعب جنوب افريقيا في بداية الطريق الطويل، ويواجه صعوبات جمة لاقامة سلطة السكان الاصليين على كامل ترابهم الوطني بسبب التجمع الكبير، نسبياً، من المستوطنين الأوروبيين هناك. هذا، علاوة على أن شعوباً اخرى قد انقرضت ولم يبق منها سوى بعض «المعالم» البشرية، كالهنود الحمر مثلاً، لعدم تمكنها من الصمود في وجه الاستعمار الاستيطاني الاجلائي، كاستعمار الاوروبيين للاميركتين واستراليا. ولو كتب لتلك أن تبلى بخطر «القاعدة الاستعمارية» المخصصة لنهب الثروات، لكانت قد بقيت على قيد الحياة وانتزعت، في نهاية الأمر، استقلالها وتنعمت بثرواتها.

ليس القصد من ضرب هذه الامثلة التهويل من الخطر الصهيوني الاستيطاني الاجلائي على مصير الامة العربية، بل الاشارة إلى الفارق الكبير، لجهة الخطورة، بين